Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حد ما ـ مواقف النقاد والبلاغيين العرب، ما بين إنكار وتقليل من شأنه، وإنصاف واعتراف بفضل بعض المحدثين فى بعض أنواعه.

(١)

فالجاحظ (١٥٠ ـ ٢٥٥ هـ) وهو ـ على أغلب الظن ـ أول من دون كلمه (البديع) فى الدراسات البلاغية[٢]، ناقلا إياها عن رواة الشعر[٣]، يشير إلى هؤلاء الشعراء المحدثين الذين شكلوا اتجاها[٤] اقترن باسم (البديع)، حيث يقول: " ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة و الشعر الجيد و الرسائل الفاخرة مع البيان الحسن: كلثوم بن عمرو العتابى، وكنيته أبو عمرو، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف ذلك من شعراء المولدين، كنحو منصور النمرى، ومسلم بن الوليد الأنصارى وأشباههما، وكان العتابى يحتذى حذو بشار فى البديع، ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار، وابن هرمة»[٥].

ويحدد الجاحظ النوع البلاغى الذى يطلق عليه مصطلح (البديع)، حين يعقب على قول الأشهب بن رميلة:

وإن ألُى حانت بفلج دماؤهم ... هُمُ القوم كل القوم يا ام خالدِ
هُمُ ساعد الدهر الذى يُتَّقى به ... وما خير كف لا تنوء بساعدِ
اسود شرى لاقت اسود خَفِيّة ... تساقَوْا على حرب دماء الأساودِ

حيث عقب بقوله: "قوله (هم ساعد الدهر) إنما هو مثل، وهذا الذى تسميه الرواة البديع[٦]. إذن فالجاحظ يوجه مصطلح (البديع) هنا إلى (المثل)، والذى يعنى ـ من خلال الشاهد السابق ـ (الاستعارة). غير أن الدكتور إبراهيم سلامة ذهب إلى أن الجاحظ وسع دلالة مصطلح (البديع)؛ لتشمل "على نكت بلاغية أخرى كالتجنيس والطباق والسجع والازدواج والتشبيه والإطناب"[٧] معتمدا فى ذلك على شواهد أخرى ـ أوردها الجاحظ ـ خلاف الشاهد السابق[٨] وهذه الشواهد وإن احتوت على بعض النكت البلاغية التى ذكرها الدكتور إبراهيم سلامة، فإنه لا يمكن الجزم بأن الجاحظ ساقها تمثيلا لهذه الأنواع؛ إذ ربما ـ وهو ما أرجحه ـ يكون إيراد الجاحظ لها، لدورانها حول معنى (القوة والشجاعة)، وهو المعنى الذى تدور حوله أبيات الأشهب بن رميلة السابقة؛ وعلى هذا يكون القول بتوسيع الجاحظ لدلالة مصطلح (البديع) عما كانت عليه عند الرواة (المثل/الاستعارة) قولا مشكوكاً فيه على أقل تقدير.